سلسلة تفريغات شبكة بينونة

بر الوالدين

(أحكام وعبر)

الشيخ
د. محمد بن غالب العمري

قام بها فريق التفريغ في شبكة بينونة للعلوم الشرعية

@baynoonanet @baynoonanetUAE www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم

يسرّ شبكة بينونة للعلوم الشرعية أن تقدم لكم تفريغًا لمحاضرة

بعنوان

بِرُّ الوالِدَينِ

أحكَامٌ وعِبَرٌ

للشيخ

د. محمد بن غالب العمري

– حفظه الله تعالى –

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به الجميع

حقوق الطبع محفوظة لشبكة بينونة للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مُباركًا فيه، كما يُحبُ ربُنا ويرضا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحمدًا عبده ورسوله؛ دلنا على أبواب الخير ومفاتيح الهُدى، وحذرنا أسباب الشر، ومزالق الردى، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسانٍ على سبيل الحق والخير ثم اهتدى، أما بعد:

كما هو معلومٌ أن مُحاضرة اليوم هي عن (**بر الوالدين**)، والحقيقة لا يدري الواحد ماذا يقول وهو يتحدثُ عن حقٍ عظيم، أمر الله -جل وعلا- بالعناية به في كتابه الكريم، وجاءت السُنة النبوية ببيان أهميته، ومنزلته، ومكانته في الدين.

الكلامُ عن بر الوالدين هو كلامٌ عن صلةٍ وثيقة، كلامٌ عن محبةٍ ووفاء، وكلامٌ عن مودةٍ وصفاء، كلامٌ عن إحسانٍ، وكلامٌ عن بذلٍ، الكلامُ عن بر الوالدين: هو كلامٌ عمن هم سببٌ في وجودنا، وكلامٌ عن فضيلةٍ عظيمة افترضها الله -جل وعلا- للأب وللأم.

جاءت النصوص الدالة على هذه الفريضة في كتاب الله -جل وعلا-، وفي سنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، قال الله -جل وعلا-: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[الإسراء٢٤:٢٣].

هذه الآية العظيمة فيها العديد من الوقفات، وفيها العديدُ من العظات، فالله -جل وعلا- قال في أولها: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ﴾[الإسراء:٢٣]، أي: أمر وأوجب، ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾[الإسراء:٢٣]، هذا أمرُ التوحيد، ثم قرن الله -جل وعلا- توحيده والأمر بتوحيده، أو قرن بر الوالدين بالأمر بتوحيده -جل وعلا- قال: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[الإسراء:٢٣]، أي: أحسنوا للوالدين إحسانًا، وهذه الجُملة سيطول شرحُها، ولكن حسبُنا أننا سنأتي على بعض أوجه الإحسان.

ثم قال الله -جل وعلا-: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا﴾[الإسراء:٢٣]

ذكر في هذه الجُملة مسألتين:

- **أما المسألة الأولى**: فهي قول الله -جل وعلا-: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ﴾[الإسراء:٢٣]، أي في صُحبتك، وهذا يُبين أهمية العناية بالوالدين دون واسطة، الحرص على العناية بالأب أو الأم، الاجتهاد في خدمتهما، العناية بأمر صحتهما، السعي والاجتهاد في الحرص عليهما، وفي النظر في حاجتهما، فقال الله -جل وعلا-: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ﴾[الإسراء:٢٣]، وهذا فيه المُلازمة لهما، وما فيه من الفضل.

ثم قال الله -جل وعلا-: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ﴾[الإسراء:٢٣]، أحوج ما تكون الأم، أحوج ما يكون الأب إلى العناية في حال الكبر؛ إذا ما احدودب الظهرُ وسقط الحاجبان على العينين، فإن والحالة تلك أحوجُ ما يكون الآباء والأُمهات إلى العناية والرعاية، والسعي في الخدمة لهما.

ثم قال الله -جل وعلا-: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا﴾[الإسراء:٢٣]، معنى ذلك أن يكون الأب موجودًا أو الأم

موجودة، أو كلاهما على قيد الحياة؛ فأمر الله -جل وعلا- بأمر الإحسان في التعامل اللفظي، قال: ﴿فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾[الإسراء:٢٣]، كلمة (أُفّ) هذه الكلمة اليسيرة؛ يسيرة الأحرف الحقيرة عند الناس، ولكنها عند الله عظيمة.

(أُفٍ) كلمة تأفف إذا قالت لك الأم: اذهب بي إلى كذا، أو اشترِ لي كذا؛ قُلت: (أُفّ)، أو قال لك الأب: يا بُني أفعل كذا، قُلت: (أُفّ) هذه الكلمة مُحرمة عظيمة، منعها الله -جل وعلا-، قال: ﴿فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾[الإسراء:٢٣]، ثم قال: ﴿وَلا تَنْهَرْهُمَا﴾[الإسراء:٢٣]، بأي نوعٍ من النهر، أو الانتهار سواءً اللفظي أو القولي أو العملي، أو غير ذلك.

قال ربُنا -جل وعلا- بعد ذلك وهو يُبين وجه الصواب في الإحسان إليهما الإحسان اللفظي، قال: ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[الإسراء:٢٣]، القول الكريم تندرج تحته المفردات الكثيرة من السلام عليهما، ومن التوددِ إليهما، ومن الإكرام اللفظي لهما، ومن حُسن مُخاطبتهما؛ إلى غير ذلك من المعاني العظيمة.

ثم قال الله -جل وعلا-: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[الإسراء:٢٤]، تواضع لهما، أحسن في التعامل معهما، اجتهد في إسعادهما، وأنت

بين أيديهما ذليلًا مُستجيبًا لأوامرهما، منتفعًا بتوجيهاتهما، متواضعًا في السماع لهما.

قال: ﴿وَقُلْ رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[الإسراء:٢٤﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ﴾[الرحمن:٦٠]، حينما أحسن إليك في صغرك، واجتهدا في إسعادك، وسعيا في المُحافظة على صحتك وحياتك، كان الخوفُ يملأُ القلوب، إذا مرضت أو أصابك شيءٌ من السخونة؛ تهرع الأمُ إلى الدواء، ويتنقل الأبُ في أنصاف الليالي بين المستشفيات، وبين المراكز الصحية؛ خوفًا وفزعًا أن يُصيبك مكروه.

فأيُّ جزاءٍ يستحقُ الأبُ في ذلك؟ وأي جزاءٍ تستحقُ الأم وهي قد نغصت نومها سهرًا عليك وعنايةً بك؟ وماذا تُقدم لهما الآن وهما في كبر السن وأنت حريصٌ على برهما؟ فمهما كُنت حريصًا ومهما اجتهدت في ذلك؛ فالحقيقةُ أنك لا توفي لهما فضلهما، ولا ما يستحقانه من الخدمة والرعاية.

وسيأتي بيان أن النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «لا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدًا، إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ»(١)، أما دون ذلك فمهما بذل الابن أو البنتُ للأب أو للأم فلا يُمكن أبدًا أن نُجازيهم على ما قاما به.

وتأمل أيضًا في قول الله -جل وعلا-: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾[لقمان:١٤]، قرن الله -جل وعلا- شكر الوالدين بشكره جل وعلا.

وقد قال ربُنا في كتابه الكريم: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[سبأ:١٣]، قليلٌ من يشكر الرب -جل وعلا-، فمن باب أولى أنه قليلٌ من يشكر الوالدين، شكر الوالدين لما قاما به من إحسانٍ وبذلٍ؛ فهما قد بذلا حياتهما في تربية الأبناء، ربما يُراعي الأب أو الأم صحة الأبناء وهما في حال مرض؛ لا يعتنيان بصحتهما بينما يعتنيان أشد العناية بأمر الأبناء والبنات، لقد وردت الأحاديث الكثيرة الدالة على فضلِ بر الوالدين، والـمُحذرة من عقوقهما.

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٢/ ١١٤٨) برقم: ١٥١٠

من ذلك ما رواه ابن مسعودٍ -رَضْيَ الله عَنْهُ وأرضاه-، قال سألت النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أَي الْعَمَلِ أَحَبُّ إلى الله؟ قال: "الصَّلاةُ عَلَى وَقْتِهَا"، قُلْتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قال: "ثم بِرُّ الْوالِدَيْنِ"، قال: قُلْتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قال: "الجِهَادُ في سَبِيلِ الله»[1].

تأمل في هذا الحديث العظيم، كيف أن النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جعل أحب الأعمال إلى الله -جل وعلا- بعد أمر الصلاة التي هي ثاني فرائض الإسلام بعد الشهادتين؛ جعل أمر بر الوالدين من أحب الأعمال إلى الله بعد الصلاة؛ ذلك لما للبر من فضائل عظيمة، ومن منزلةٍ كريمة، كيف يحرم الإنسان نفسه هذا الفضل، وهو يعلم أن أحب الأعمال إلى الله -جل وعلا- بر الوالدين، الإحسان إلى الأبوين، الاجتهاد في طاعتهما، مهما كان الحال معهما.

من عجائب ما ذُكر في كُتب الحديث ما رواه البُخاري في كتابه بر الوالدين عن سعد ابن أبي وقاص -رَضْيَ الله عَنْهُ-، قال: "نزلتْ فيَّ أربعُ آياتٍ من كتاب الله -عز وجل-، ثم قال في ذكر أول هذه الآيات، قال:

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨/ ٢) برقم: ٥٩٧٠ ومسلم في "صحيحه" (١/ ١٩٧) برقم: ٥٠٤

"حلفت أمي ألا تأكل ولا تشرب حتى تُفارق مُحمدًا -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-"، أي أنها لن تأكل ولن تشرب حتى يُفارق سعدٌ النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولا يتبعُه في شيءٍ من أمر دينه.

قالت أو قال: "فأنزل الله -جل وعلا-: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا﴾[لقمان:١٥]، فلا تُطعهما في أمر الشرك، ومع ذلك مع شركهم قال: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[لقمان:١٥]، وهذا يدل على أهمية بر الوالدين حتى لو كان على غير الإسلام، فمن باب أولى لو كان الأب ظالماً أو كانت الأم ظالمة.

لأن البعض يقول: كيف أبر بأبي، أو كيف أبر بأمي وهما قد انصرفا عني، أو أنهما ظلماني، أو نحو ذلك من العبارات؟ نقول: إن بر الوالدين لا يكون بالـمُحاصصة؛ هو أمرٌ واجبٌ عليك حتى وإن حصل منهما الظلم، فأنت تتعبد لله -جل وعلا- بهذه العبادة العظيمة، وهي بر الوالدين تقربًا إلى الله -جل وعلا- واحتسابًا للأجر منه -سبحانه وتعالى-، وكل ذلك أنت فيه مأجور مُحسنٌ إلى نفسك قبل أن تُحسن إليهما.

ومما جاء في السنُة أيضًا: الحديث عنه -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حينما جاءه رجلٌ فبايعه على الهجرة؛ وأمر الهجرة أمرٌ عظيم، وهي الانتقال من بلاد الكُفر إلى بلاد الإسلام، قال راوي الحديث، وهو عبد الله بن عمر بن العاص -رَضْيَ الله عَنْهُما-: "وترك أبويه يبكيان": أي هذا الرجل، فقال النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «ارجِع إليهِما فأضْحِكْهُما كما أبكيْتَهُما»[1].

أيضًا من فضائل بر الوالدين مع ما فيه من الأجر الأخروي كذلك: ما يكون من أثر هذا البر على العبد قبل الآخرة، تأمل في هذا الحديث، قال -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما في حديث أنس: «من أحب أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[2]، وأعظم ما تكون صلة الرحم ببر الوالدين.

«من أحب أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ»، يزداد رزقه، «وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ »، يطول عمره، «فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»، بر الوالدين من أعظم أسباب الرزق؛

---

(١) أخرجه ابن ماجه في " سننه " (٢/ ٩٣٠) برقم: ٢٧٨٢

(٢) أخرجه البخاري في " صحيحه " (٣/ ٥٦) برقم: ٢٠٦٧ ومسلم في " صحيحه " (٤/ ١٩٨٢) برقم: ٢٥٥٧

ولذلك من اشتكى فقرًا، قلة مالٍ، أو ضيقًا في معيشة، أو خوفًا من ضعفٍ في حالته المادية أو غير ذلك؛ فلينظر في حاله مع والديه، ولينظر هل هو يبر والديه، أم أنه عاقٌ لهما أو مُهملٌ في خدمتهما؟

وتأمل كذلك فيما جاءت فيه السُنة عن النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال مُبينًا مكانة الأب، قال: «لا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدًا، إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيُعْتِقَهُ»، في تلك الحال تكون مُجازاة الوالد، وبالمقابل معاشر الأحبة الذي يعق والديه هذا الأمر من أكبر الكبائر؛ لذلك النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبائِرِ ثَلاثًا، قَالُوا: بَلى يا رَسُولَ الله، قَالَ: الإِشْراكُ بِالله، وَعُقوقُ الْوالِدَيْنِ»[1]، فكما قرن الله -جل وعلا- بر الوالدين بتوحيده، قرن هنا النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عقوق الوالدين بالإشراك بالله -جل وعلا-.

بل إن النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- دعا على من أدرك أبويه أو أحدهما ولم يُدخلاه الجنة، فقال -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «رغم أنفه، رغِمَ أنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أنْفُ»، وجاء في رواية أن النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

---

(١) أخرجه البخاري في " صحيحه " (٣/ ١٧٢) برقم: ٢٦٥٤ ومسلم في " صحيحه " (١ / ٩١) برقم: ٨٧

قال: «رغم أنف رجلٍ أدْرَكَ أبَوَيْهِ عِنْدَ الكِبَرِ، أحَدَهُما، أوْ كِلَيْهِما فَلَمْ يُدْخِلاه الجَنَّةَ»[١]، وانظر إلى قضية: «عِنْدَ الكِبَرِ»؛ لأن هذا السن أحوج ما يكون إلى الإحسان إلى الوالدين، الأحاديثُ في ذلك كثيرة، ومن تأمل فيما ورد من أحاديث في بر الوالدين لتبين له عظم هذه العبادة التي يحرص عليها العبد، ولاسيما في حق الأم؛ لأن حقها عظيم، ومنزلتها جليلة.

ولذلك لما جاء رجلٌ إلى النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحُسن صحابتي؟ قال: «أمك»، قال: "ثم من؟"، قال: «ثم أمك»، قال: ثم من؟، قال: «ثم أمك»، قال: "ثم من؟" قال: «أبوك»[٢]، هذا حديثٌ عظيم يدُل على أهمية بر الوالدة بالخصوص، لماذا؟ الوالدة تُعاني الأمر العظيم، حتى قيل: "لا تلدُ امرأة إلا وترى الموت"، أنت تأتي إلى الحياة وهي تكاد تُفارق الحياة؛ والله هذا أمرٌ عظيم.

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٤/ ١٩٧٨) برقم: ٢٥٥١

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨/ ٢) برقم: ٥٩٧١ ومسلم في "صحيحه" (٤/ ١٩٧٤) برقم: ٢٥٤٨

إذا تأمل الإنسان هذا الأمر؛ ينظر في حاله، يحرص على أن يعطي الوالد والوالدة شيئًا من الوفاء، شيئًا من الإحسان؛ ولذلك لما رأى ابن عُمر -رَضْيَ الله عَنْهُ- رجلًا وهو يطوفُ بأمه بالكعبة؛ فجائه هذا الرجل وقال –وهي على ظهره- فقال هذا الرجل: أترى أني قد أديت شيئًا من حقها؟ قال له ابن عُمر -رَضْيَ الله عَنْهُما-: "لا، ولا طلقة من طلقات الولادة".

فهيَ تُعاني في حملها وما يصحب ذلك من الآلام والمشاق والمتاعب، والسهر، وما يُصاحبه من الوحم وغير ذلك من العوارض الشديدة، ثم ما يكون من أمر الولادة، ثم ما يكون من أمر العناية، والنظافة والإرضاع، وغير ذلك، وما يُصاحبه من سهرٍ، وتعبٍ واجتهادٍ في إصلاح حالك، وفي النظر في صحتك، لاشك أن هذه مشقةٌ عظيمة؛ ولذلك جاء الأمرُ بالإحسان إلى الأم أعظم من أمر الأب؛ وإن كان للأب منزلةٌ عظيمة، وقد جاءت بذلك الأحاديث الكثيرة.

أيضًا يقول -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في الحديث الصحيح حينما جاءه معاوية ابن جاهمة السُلمي، قال: "قلت يا رسول، إني كنت أردت الجهاد معك أبتغِ بذلك وجه الله والدار الآخرة، قال له النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ-: «وَيْحَكَ، أَحَيَّةٌ أُمُّكَ؟»، قال: قلت: نعم، قال: «فَارْجِعْ إِلَيْهَا فَبَرَّهَا»، ثم جاءه معاوية مرةً أخرى وثانية، وثالثة، فقال له النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في الثالثة: «وَيْحَكَ، الْزَمْ رِجْلَهَا، فَثَمَّ الْجَنَّةُ»، هذا معاشر الأحبة في أمر الجهاد الذي يُبتغى به نصر دين الله -جل وعلا- ورفعُ كلمة الله -جل وعلا- عالية، ومع ذلك قال النبيُ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «الْزَمْ رِجْلَهَا، فَثَمَّ الْجَنَّةُ»[1].

وإن مما يدُل على منزلة بر الوالدين ما جاء عن السلف -رَضْيَ الله عَنْهُم وأرضاهم- من بيان أهمية هذا الأمر، والاجتهاد في القيام به؛ فلذلك نذكُر من أقوال السلف ومن أفعالهم ما يدُل على عنايتهم أشد العناية بأمر بر الوالدين، وبُعدهم أشد البُعد عن عقوقهما.

رأى أبو هريرة -رَضْيَ الله عَنْهُ وأرضاه- رجلين فقال لأحدهما: هذا منك؟ قال: "هذا أبي"، قال له أبو هريرة وهو يوصيه: لا تسمّه باسمه، ولا تمشي أمامه، ولا تجلس قبله"؛ هذه من عظيم الآداب، لا تسمه باسمه: أي لا تقل: يا فُلان، يا أحمد، يا عبد الله، يا سعيد؛ وإنما ناده بالأبوة، يا أبتاه، يا أبي.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في "سننه" (٢/ ٩٢٩) برقم: ٢٧٨١

إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- وهو ينادي أباه الذي لم يؤمن به قال: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي﴾[مريم:٤٣]، قال: ﴿يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾[مريم:٤٤]، قال: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾[مريم:٤٥]، ناداه بالأبوة

كذلك جاء رجلٌ إلى ابن عُمر -رَضْيَ الله عَنْهُ وأرضاه- قال وهو يشتكي أنه وقع في بعض الأمور، فقال له ابن عُمر: "أحيٌّ والدك؟ قال: عندي أمي، قال: فالله لو أَلَنْتَ لها الكلام، وأطعمتها الطعام؛ لتدخلنَّ الجنة ما اجتَنبتَ الكبائر".

وقال العلماء في تفسير قول الله -جل وعلا- كما ورد عن عروة بن الزبير في قول الله -جل وعلا-: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾[الإسراء:٢٤]، قال: لا تمتنع من شيءٍ أحباه، إذا أمراك بشيءٍ أو رغبا في شيءٍ فقم فيه ولا تتأخر عنه، ولما سُئل الحسن البصري -رحمه الله- عن بر الوالدين قال: أن تبذل لهما ما ملكت، وتُطيعهما ما لم يكن معصية.

فما بالنا بمن يجتهد للأسف الشديد في إبكاء الوالدين، أو في إغضابهما، وقد قال ابن عُمر -رَضْيَ الله عَنْهُما-: "إبكاء الوالدين من

العقوق"، حتى لو وقع الأبوان في شيءٍ من الخطأ فيُدعى لهما، ويُنبهان عليه بلطيف العبارة، وبجميل الكلمة.

سُئل الحسن البصري -رحمه الله-، قال: الرجل يأمر والديه بالمعروف وينهاهما عن المنكر؟ قال: إن قبلا، وإن كرها فدعهما؛ بل من عظيم برهما أن الأب أو الأم لو نادى أحدهما ابنه، وكان هذا الابن في صلاة نافلة؛ فإنه يقطعُ صلاته ويستجيبُ لندائهما.

لذلك جاء عن مُجاهد أن رجلًا سأله قال: ينادي المنادي للصلاة، ويُناديني رسول أبي؟ قال: "أجب أباك".

وجاء عن مُحمد بن المنكدر التابعي الجليل، أنه قال: "إذا دعاك أبوك وأنت تُصلي فأجب".

هذه بعض وصاياهم-رحمهم الله ورضي عنهم- في هذه العبادة الجليلة العظيمة التي رفع الله منزلتها وأعلى مكانها.

ومن أفعالهم -رَضْيَ الله عَنْهُم جميعًا- ما جاء عن عليٍ بن الحُسين، أن رجلًا قال له: "لقد عَلِمْنَاك مِن أبرِّ الناس بأُمك، فلماذا لا تأكل معها في صفحةٍ واحدة؟"، أي: في صحنٍ واحد، قال -رحمه الله-: "إني أخاف أن تسَبق يدي يدها إلى ما تلق عيناها إليه فأكون قد عققتُها".

لماذا لا تأكل مع أُمك في صحفة واحدة؟ يقول: أخشى أنها قد وقع نظرهُا على لُقمةٍ في هذا الصحن، فتسبقُ يدي إلى هذه اللقمة فأكون قد عققتها.

وقد ذكر مُحمد بن سيرين -رحمه الله-: أن النخلة بلغت في زمنه إلى ألف درهم؛ فعمد أسامة بن زيد -رَضْيَ الله عَنْهُ- إلى نخلةٍ فعقرها، قطعها فأخرج جُمارها، وهذا الجُمار هو ما يكون في قلب النخلة، ويلتذُّ الآكل له، قال: فأطعمه أمه، قال فقالوا له: ما يحملك على هذا وأنت ترى النخلة قد بلغت ألف درهم؟ قال أسامة: إن أمي سألتنيه، ولا تسألني شيئًا أقدرُ عليه إلا أعطيتها، ما تسألني الأم أبدًا شيئاً أنا أقدر عليه إلا أعطيتها، انظر إلى حُسن الإكرام، وإلى حسن الإحسان، وإلى المعاملة.

اليوم ربما الأم لو تسأل ابنها: يا بُني اشتر لي هذا الأمر، قال لها هذا غالي أشتر لكِ من النوع الرخيص؛ فليس هذا من البر والله، وكذلك ليس من الصواب أن الإنسان يُسرف، ولا أن يُكلّف نفسه ما لا طاقة له به، لكن إذا كان قادرًا فليُكرم أبويه وليُحسن إليهما، وليُحقق مطلوبهما، وليجتهد في إرضائهما، فلا شك أن هذا من حُسن البر بهما.

كذلك من وصايا السلف في حُسن التأدب مع الأبوين ما قاله مُجاهد بن جبر المكي -رحمه الله-: "لا ينبغي للولد أن يدفع يد والده عنه إذا ضربه"، إذا جاء الأب يضربُ الابن؛ فلا ينبغي للابن أن يرفع يد والده، انظروا إلى هذا الأدب العظيم، حتى ولو كان الأب ظالماً؛ لما في ذلك من حُسن التعامل مع الأبوين.

وربُما البعض ليس يدفعُ يد أبيه فقط؛ بل ربما يضربُ أباه، نسأل الله السلامة والعافية؛ شُلت هذه اليد التي تُرفعُ على الأبوين أو على أحدهما، أيُّ قلبٍ يحمله هذا الرجل أو هذه المرأة التي يرفعُ أو ترفعُ اليد على أبويه، هو والله أمرٌ عظيم.

ونسمعُ من القصص ما يندى له الجبين، وما تذرفُ العيون دمًا بدلًا من الدمع، ما يدُل على عقوق للوالدين؛ سوءُ تعامل، سوء تلفظُ، تقبيح وإهانة، وشتم، وهجر، وضرب، وطرد، وغير ذلك من المظاهر السيئة التي يتعامل بها بعضُ الأبناء ممن كُتب عليه الشقاوة في هذا الأمر، لم يستجب لأمر ربه، ولا لأمر نبيه -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ فأيُ قلبٍ يحمله وهو يسيء إلى والديه أو إلى أحدهما.

وقال أيضًا: **"ومن شدّ النظر إلى والديه"**: أي يحدق في وجههما، أو **"أحدّ النظر إليهما"**: والمُراد بذلك ما فيها من الإساءة إذا أمراه بأمر نظر شذرًا إليهما، ودقق النظر إلى وجوههما، فقال: **"ومن شدّ النظر إلى والديه لم يبرُهما"**، قال: **"ومن أدخل عليهما حُزناً فقد عقّهما"**، أيُّ نوعٍ من أنواع الحُزن، سواءً في أمرٍ طلباه، أو في أمرٍ أرادا منك دفعه، أو في وصيةٍ أوصوك بها أو غير ذلك، فلا شك أن إدخال الحُزن إلى قلبيهما هذا من العقوق لهما.

معاشر الأحبة، ينبغي لمن امتن الله -جل وعلا- عليه بالأبوين أن يجتهد غاية الاجتهاد في الإحسان إليهما، قبل أن يُفارقهما أو يُفارقاه، لما ماتت أم إياس بن معاوية -رحمه الله- بكى، قالوا له: ما يُبكيك؟ قال: "كان لي بابان مفتوحان إلى الجنة، وأُغلق أحدهما".

ما هي مظاهر بر الوالدين؟ كثيرةٌ جدًّا، لا يُمكن لنا في مثل هذا المقام إحصاء هذه الآداب، أو حصرُها، ولكن لابد للأبناء:

- **أولًا**: أن يعلموا، ويتعلموا، ويفقهوا عظيم حق الوالدين، وجليل شأنهما ورفيع قدرِهما في الإسلام، ومكانته في هذا الدين.

- **الأمر الثاني**: في أمر المخاطبة لهما لابد من حُسن التأدب، ومن حُسن الخطاب، ومن جميل القول، ومن كريم التوددِ إليهما بالعبارات الجميلة اللطيفة، المناسبة، المتوددة، التي تُطيب الخاطر، وتُبهج النفس، وتُسعدُ القلب، ويُحسنُ بذلك الابن إلى نفسه قبل أن يُحسن إلى أبويه.
- **كذلك طاعة الأبوين**: في كل أمرٍ لا معصية فيه: سواءً كان أمرًا في وصيةٍ بشيءٍ، أو في طلب شيءٍ، أو دفع شيءٍ، أو في غير ذلك من الأمور، لا توكل غيرك إذا طلب الوالدان منك؛ نعم يجوز للإنسان إذا كان في ضيق وقتٍ أو نحو ذلك أن ينظر من يقوم ببرهما، لكن إذا كنت في سعةٍ من الأمر فاحرص على أن يهبك الله -جل وعلا- هذه النعمة أنت، وألا تدفع هذه النعمة إلى غيرك: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[المطففين:٢٦].
- احرص على أن يكون بر الوالدين من نصيبك أنت، لا تقل: أنا قد بقى عندي الوالد شهر، أو أنا ذهبتُ به، أنا سافرت بالوالدة، أنا فعلتُ كذا، أين أنتم يا بقية الأخوة؟ لماذا لا تخدمونهم؟ لماذا لا تقومون على شأنهما؟ نتقاسمهم أنا شهر وأنت شهر، أو أنا أسبوع وأنت أسبوع، ما أقسى هذه العبارات! ما أقبح هذه الكلمات والله!

الذي ينبغي أن يتنافس الأبناء على خدمة الوالدين، إذا جاءك أخوك قال: يا أخي قد بقي الوالد عندك أو بقيت الوالدة عندك شهر أو شهرين، أنا في الحقيقة أريد أن تبقى عندي؛ هنا أنت تُبادر تقول: والله لو تسمح لي، بقاء الوالدين قُرةُ عينٍ لابنهما، صُحبته لهما، الجلوس معهما، النظر إليهما، التفقد لأحوالهما، المراعاة لصحتهما، الاجتهاد في إسعادهما، هذا أمر لا ينبغي أن تفرط فيه، هذه عبادة عظيمة قارنها الله بتوحيده، اجتهد في بذل جهدك في ذلك.

- **كذلك من البر بهما**: إدخال السرور عليهما؛ سواءً بالكلمة الطيبة، بالهدية، بأمرٍ معنوي، أو بأمرٍ حسي، أو بغير ذلك.
- **ثم كذلك من البر بهما**: العناية بصحتهما الجسدية والنفسية، ولاسيما حال الكبر: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا﴾ [الإسراء:٢٣]، حال الكبر من أعظم ما ينبغي للابن أن يعتني فيه بأبويه.
- **ثم كذلك من العناية بهما**: تعليم الأب والأم لاسيما ما يتعلقُ بأمر العبادة، إذا رأيت أحد الأبوين يُخطأ في وضوء أو في صلاة؛ هؤلاء أحقُ بنصحك، وأحق بدعوتك، وأوجب ما يكون عليك أن تُعلم الأبوين دون غضبٍ أو تضجرٍ، أو تململٍ، أو ضيقٍ، لا تأتي وتقول: "قد

علمتكم الوضوء من قبل فلازلتم تخطئون"، لا، أحرص على حُسن التودد في التعليم، الله -جل وعلا- قال لموسى ولهارون: ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا﴾ [طه:٤٤]، لمن؟ لفرعون، فما بالنا بالوالدين؟!

- **كذلك من حُسن العناية والبر بهما**: الإقبال عليهما، والمجالسة لهما، لا تتشاغل إذا جلست لأبويك، أترك الأجهزة، أترك الناس الذين تتواصل معهم، أقبل عليهم إقبالًا مُفرحًا مُسعدًا لهما، اجتهد في السماع لهما دون انصراف العين عنهما، أنت مُنصت، مُستمع، كان بعض السلف يا إخوة؛ ربما إذا جلس بين يدي أمه أو بين يدي أبيه رآه بعض الناس فقالوا: مريض وما به مرض، ولكن من حُسن الإنصات لهما، لا تتشاغل بهذه الأجهزة ولا بغيرها، حتى ولو قالا كلامًا لا يُفهم.

يذكر أن حارث بن النُعمان -رَضْيَ الله عَنْهُ- كان لا يُرادد أمه في أمرٍ حتى لو لم يفهمه، إذا قالت له شيء لم يفهمه لا يقول لها أعيدي الكلام، ولكن إذا خرج سأل من كان معه ماذا قالت أمي؟ ماذا طلبت أمي؟ هذا من حُسن البر، هذا من حُسن التودد؛ حتى لو كرر الكلام إياك أن تسيء إليهما بالاعتراض، تقول: يا أبي، لقد ذكرت لنا هذه القصة مائة مرة؛

اسمع هذه القصة وكأنك تسمعها لأول مرة، وأنت تُدخل السرور عليهما بحُسن الإنصات، فاقد الأبوين أمره عظيم، وخطبهُ جسيم، وفراغٌ لا يُسد.

- **أيضًا من الحرص عليهما ومن البر بهما**: المحافظة على أموالهما، وعلى أمتعتهما، وعلى مُتعلقاتهما، وعدم أخذ شيء من ذلك إلا بالإذن، بل على العكس ينبغي للابن أن يُبادر إلى النفقة، وإلى الإعطاء قبل أن يسألا.
- **كذلك من حقهما**: الإكثار من الدعاء لهما في السجود، وفي مواطن الإجابة، ﴿وَقُلْ رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء:٢٤]، تجتهد في الدعاء لهما.
- **كذلك الحرص على التأدُّب معهما في أمر المشى، والمجلس، والكلام، وغير ذلك**، لا تتقدم أباك في مشيه، لا تُسابقه، أو تَسبقه في ذلك، لا تسبقه إلى مجلس؛ قدمه في المجلس، لا تسبقه إلى طعام قدمه، أو إلى شراب، كذلك الأم.
- **كذلك من الحرص عليهما**: النفقة والاجتهاد في تلبية الطلب دون أي اعتراض؛ مادام أن هذا الأمر بالمعروف؛ فلا ينبغي أبدًا أن تُقدم شيئًا عليهما، لا حاجة نفسك، ولا حاجة أبنائك، ولا حاجة زوجك،

ونصيحة للنساء: (**أعينوا الأزواج على البر بآبائهم وأمهاتهم، كونوا نعم العون لهم، اجتهدوا معهم في الإحسان إلى الأبوين؛ فلعل الله -جل وعلا- أن يُقيض لكما في حال الكبر من يكون عونًا لكما للزوج وللزوجة**)، اجتهدا في البر بالأبوين، سواء الأب والأم من جهة الزوج، أو من جهة الزوجة.

ولكن الزوجة على وجه الخصوص ينبغي أن تكون عونًا لزوجها في ذلك، لا أن تُحرضه على أمه، أو على أبيه، أو أن تُطالبه بأن يُخرجهما، كما حصل من بعض أهل العقوق؛ حينما أخرج أبويه إلى دار المسنين -نسأل الله السلامة والعافية-؛ أيُّ حرمانٍ هذا والله.

- **كذلك من الأمور المُهمة**: وهو ما يتعلقُ ببر الوالدين في حال أو ما بعد الموت، قد جاء رجلٌ إلى النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: "هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما بعد وفاتهما"؟ قال النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «نَعَمْ، الصَّلاَةُ علَيْهِمَا، والاسْتِغْفَارُ لَهُما، وإِنْفاذُ عَهْدِهِما من

بعدهما، وإِكْرَامُ صَدِيقهما، وصِلةُ الرَّحِمِ التي لا تُوصَلُ إِلاَّ بِهِمَا»[1]، خمسة أمور:

- «الصَّلاَةَ علَيْهِمَا»: الدعاء، ومن ذلك أيضًا الصلاة عليهم صلاة الجنازة، **وكثرة الدعاء لهما بعد موتهما**: ولذلك مما ينفعُ العبد: الولد الصالح، يدعو لأبيه، يدعو لأمه بعد موتهما.

- **قال**: «والاسْتِغْفَارُ لَهُما»، أي: سؤال الله أن يغفر لهما سيئاتهما، هذا سواء في حياتهما أو بعد موتهما.

- **قال**: «وإِنْفاذُ عَهْدِهِما»، وهي الوصية سواءً كانت الوصية في أمر ميراثٍ، أو الوصية بالإحسان إلى جارٍ، أو الوصية بالإحسان إلى قريبٍ، أو غير ذلك، تبادر إلى القيام بهذه الوصية.

- **ثم ذكر النبي** -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «وإِكْرَامُ صَدِيقهما»، إذا كان لأبيك ولأمك أصدقاء تُحسن إليهم، تجتهد في صلتهم، تجتهد في النفقة عليهم؛ كل ذلك من البر بالأبوين.

- **الأمر الخامس قال**: «وصِلةُ الرَّحِمِ التي لا تُوصَلُ إِلاَّ بِهِمَا»، صلة الرحم، الإحسان إلى الرحم من جهة الأم أو من جهة الأب،

---

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" (٢/ ١٢٠٨) برقم: ٣٦٦٤

الإحسان إلى الخال والخالة من جهة الأم، الإحسان إلى العم والعمة من جهة الأب، الإحسان إلى الأجداد والجدات من الجهتين، كل ذلك من البر بهما بعد موتهما.

معاشر الأحبة، الكلام عن بر الوالدين كلامٌ متشعب، **ولكن في جُملةٍ عامة**: "ينبغي للأبناء والبنات أن ينظرا في كل أمرٍ حسنٍ؛ فيجتهدوا غاية الاجتهاد في تقديمه للأبوين، سواءً كان هذا الأمرُ قوليًا، أو فعليًا، في المعاملة، في الألفاظ، في غير ذلك؛ يُقدمانه للأبوين، يُحسنا إليهما فيه، وينظران في كل أمرٍ قبيحٍ سيءٍ مذمومٍ يُبعدانه عن الأبوين، سواءً كان قولًا أو كان فعلًا، يجتهدون غاية الاجتهاد في صرفه عن الأبوين".

البِر: معاشر الأحبة أمره عظيم، ومنزلته جليلة نجتهد في البر بآبائنا وأمهاتنا، نعتني بذلك غاية الاعتناء؛ حتى لا تكون ساعة ندمٍ، حين نُفارقهم، أو هم يُفارقونا إلى الدار الآخرة؛ فيتحسر الإنسان على كلمةٍ قالها، أو على فعلٍ فعله، فلذلك يجتهد الآن حتى إذا ما قدر الله -جل وعلا- أمر الفراق، بقيت الأفعال الحسنة، والذكرى الحسنة مع البذل لهما بعد موتهما.

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يرزقنا جميعًا البر بآبائنا وأمهاتنا في حياتهم وبعد مماتهم، ومن كان أبواه على قيد الحياة، ونسأل الله -جل وعلا- أن يُطيل في أعمارهم على طاعته، وأن يرزقنا جميعًا البر بالآباء والأمهات، ونعلم معاشر الأحبة ما قاله بعضُ السلف: "بروا بآبائكم تبرُكم أبنائكم" أسأل الله -جل وعلا- للجميع التوفيق والسداد، والهُدى والرشاد، وصلى الله على نبينا مُحمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

حسابات شبكة بينونة للعلوم الشرعية

ليصلكم جديد شبكة بينونة، يسعدنا أن نتواصل على المواقع التالية:

① 【 تويتر Twitter 】
https://twitter.com/BaynoonaNet

② 【 تيليجرام Telegram 】
https://telegram.me/baynoonanet

③ 【 فيسبوك Facebook 】

https://m.facebook.com/baynoonanetuae/

④ 【 انستقرام Instagram 】

https://instagram.com/baynoonanet

⑤ 【 واتساب WhatsApp 】

احفظ الرقم التالي في هاتفك

☎ https://api.whatsapp.com/send?phone=971555409191

أرسل كلمة "اشتراك"

تنبيه في حال عدم حفظ الرقم لديك

((لن تتمكن من استقبال الرسائل))

⑥ 【 تطبيق الإذاعة 】

لأجهزة الأيفون

https://appsto.re/sa/gpi5eb.i

لأجهزة الأندرويد

https://goo.gl/nJrA9j

⑦ 【 يوتيوب Youtube 】

https://www.youtube.com/c/BaynoonanetUAE

⑧ 【 تمبلر Tumblr 】

https://baynoonanet.tumblr.com/

⑨ 【 بلوجر Blogger 】

https://baynoonanet.blogspot.com/

⑩ 【 فليكر Flickr 】

https://www.flickr.com/photos/baynoonanet/

⑪ 【 لعبة كنوز العلم 】

لأجهزة الأيفون

https://goo.gl/Q8M7A8

لأجهزة الأندرويد

https://goo.gl/vHJbem

【 البريد الإلكتروني 】

info@baynoona.net

【 الموقع الرسمي 】

http://www.baynoona.net/ar/

حقوق الطبع محفوظة

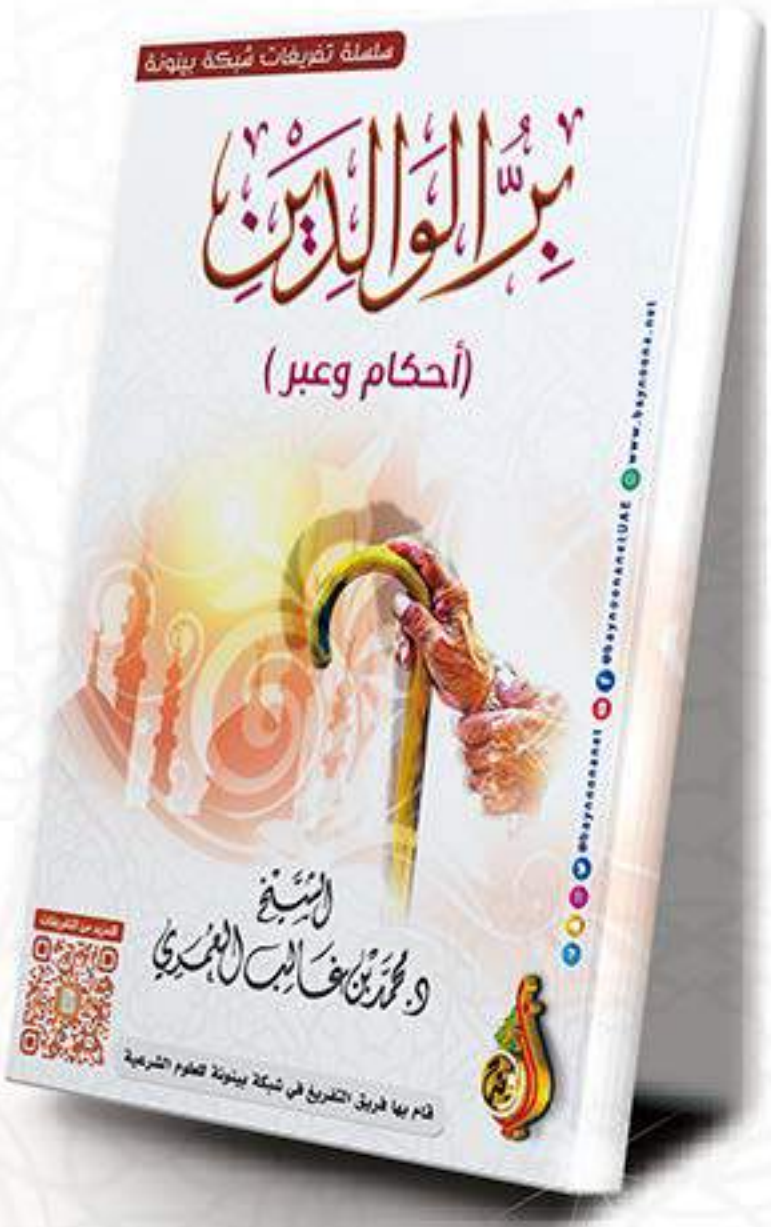

للمزيد من التفريغات

يرجى مسح الكود أو اتباع الرابط التالي

https://www.baynoona.net/ar/all-tafrighat